رسالة راعي أبرشيّة أنطلياس المارونيّة
سـيادة المـطران أنـطوان بو نـجم
إلى الكهنة والمؤمنات والمؤمنين
بمناسبة بداية السّنة الطقسيّة ٢٠٢٣-٢٠٢٤

بعنوان:
«في الإفخارستيا تطمئنُّ قلوبُنا»

«لِأَنَّهم لم يَفهَموا ما جَرى على الأَرغِفَة»
(مر ٦/ ٥٢)

يُخبرنـا الإنجيـليّ مرقـس أنّ التّلاميذَ في السـفينة كانوا مَنْهُوكِينَ مِـنَ التَّجذِيـف لأَنَّ الرّيحَ كانتْ مُخالِفـةً لهُـم ولم يتعرّفـوا عـلى يسـوع الآتي إليهـم ماشـيًا على البحـيْرَة فـزاد إضطرابُهـم وخوفُهم برغـم أنـه قـال لهـم: «ثِقُـوا! أَنَا هُـوَ، لا تَخَافُوا!» بـل ظَنُّوهُ شـبَحًا. كلُّ ذلـك لأنهـم «لم يَفهَموا ما جَـرى عـلى الأَرغِفَـة لقسـاوة قلوبهـم» (مـر ٦/ ٥٢). فلـو كانت قلوبُهـم ليّنـةً ومُطيعـة لفهموا ما جـرى عـلى الأرغفة الخمسـة وبالتـالي لزالَ خوفُهـم وتبـدّدَ قلقُهم وعرفـوا أنه ليس شـبحًا بل هو يسـوع القربـانيّ الذي يهـدّئ العواصف.

أحبّائي،
نحـن اليـوم نتخبّط في سـفينةِ وطننـا ومنطقتنا والخـوف يلّفنا جميعًـا ورياح المصالـح والحقد في هـذا العـالم مخالفـةٌ لتجذيفنـا ولكـنّ المسـيح هو معنـا في كلّ حـين، هل نعرفـه ونسـلّمه ذواتنا فنرتـاح وتهـدأ عواصـفُ قلوبنا؟ تعالوا نفهـم ما جرى ويجري عـلى الأرغفة الإفخارسـتيّة ونكمل مـا بدأنـاه معًـا في رسـالتي الراعوية السـنة الماضية بأن نكـون «شـهود الرجاء وحامـلي الفرح»... وقلوبنـا مطمئنة!

أرغفـةٌ خمسـة أضعهـا بـين أيديكـم طالبًا من الـربّ أن يباركَهـا ويكّثرَهـا فتحملونهـا إلى بيوتِكم وعيالِكـم وأصحابِكـم وأماكنِ عملكـم... تحملونهـا إلى كلِّ الناس.

١. الإفخارستيا ينبوعُ رجائنا وسلامنا

لا يطلع علينا صباحُ كلِّ يومٍ إلاّ بأخبار الموت والحروب والدمار وكأننا خُلقنا لنصارع آلامًا يوميّة لا تنتهي ونسير جلجلةً تستمرُّ مدى عمرٍ كاملٍ. إنها «آلام الوقت الحاضر» التي تُنتجها عبوديّة «الفساد» وتنخر جسد «الخليقةً التي تئنُّ وتتمخض» (روم ٨/ ١٨-٢٢). لقد أتى المسيح إلى هذا العالم بالذات، هذا العالم المُتخبّطِ بكلّ أنواع العذابات. عاش بيننا وديعًا ومتواضعًا، فقيرًا بالمادّة ولكن غنيًّا بالرحمة والمحبّة، متجرّدًا من «قوّة الذراع» ولكن متحلّيًا بالشجاعة في مواجهة الظلم والشرّ. لم يصحْ ولم يماحك ولم يسمع أحدٌ صوتَه في ساحات النزاعات البشريّة (مت ١٢/ ١٩) ولكنّه لم يصمت أمام التعدّي على كرامة الهيكل وأمام خبث ورياء القادة المدنيين والدينيين. هذا الإله الجبّار أصبح صغيرًا، ضعيفًا مرذولاً وتوارى بدايةً في مزود ثم أخيرًا في قربانة هشّة. لقد استحال بيننا خبزًا نازلاً من السماء وطالعًا من الأرض، من مريم الأرض الخصبة لكي، به ومعه، يمكننا أن نتغلّب على اليأس والإحباط كما تغلّب عليه وانتصر هو يومَ كانت نفسه «قلقة حتّى الموت» مُسلِّمًا ذاته لله أبيه قائلاً: «يا أبتِ بين يديك أستودع روحي».

أحبّائي،

عندما نلبّي دعوة يسوع «إصنعوا هذا لذكري» ونتناولُ جسدَه نعيشُ الإختبارَ نفسه. وحده القربان المقدّس يبقى لنا معين النعمة الذي لا ينضب والذي به نرتوي لكي نغلبَ الألمَ والشرَّ والموتَ بقوّة الحبّ، حبِّ المسيح. هو يُعطينا رجاءَ الحياة لأنّ مَن يأكلُه لا يموت (يو ٦/ ٥٤) وهو يمنحُنا السلامَ الذي منحَه لتلاميذه بعد أن غسّلَ أرجلَهم في العشاءِ السرّي كما يُخبرنا يوحنا (يو ١٤/ ٢٧).

في الإفخارستيا، تحت أعراضِ الخبزِ والخمرِ الوضيعة، المتحوّلةِ جوهريًّا إلى جسده ودمه، يسوع يسيرُ معنا ويجعلُ منا شهودَ رجاءٍ وحاملي فرح ورسلَ سلام. لن ندركَ هذه الحقيقة إلاّ إذا سجدنا له وتغذّينا منه وتركّنا قلوبَنا تغوصُ في عبادته وفي حبّه دون حدود.

٢. رعايانا تُحيي الإفخارستيّا وتحيا بها

يشكّل تأسيس الإفخارستيا في العليّة اللحظةَ الحاسمة في قيام الكنيسة. وفي يوم العنصرة إنطلقت مُزودةً بمواهب الروح القدس إلى العالم. من هنا، كان قولُ المجمع الفاتيكاني الثاني بأن لا كنيسة، وبالتالي لا رعية، دون إفخارستيّا ولا إفخارستيّا من دون كنيسة. إنّ انتماءنا الرعويّ تعزّزه مشاركتُنا الواعيّة بالسرّ الفصحي من على مذبح رعيّتنا الذي فيه يتمّ تأوينُ الخلاص الذي نلناه من على الصليب.

هـذه المشـاركة الفعليّـة والمسـتمرّة بالإفخارسـتيا هـي عربـونُ وحدتنـا الرعويـة إذ لا يليـقُ بجماعـةٍ مسـيحيّةٍ أن تتشـارَكَ في عشـاءِ الـربّ فيـما هـي غارقـةٌ في انقسـاماتٍ ولا تبـالي بالفقـراء (١ قـور ١١/١٧-٢٢، ٢٧-٣٤). لـذا تحثُّنا الإفخارسـتيا على عيـشِ التضامنِ خاصةً مع المعوزيـن كـما عـلى نبـذِ الخلافـاتِ والإنقسـاماتِ في ما بيننـا. إنّها «علامـةُ الوحـدة ورباطُ المحبّـة» كـما يقـول القديـسُ أغسـطينوس، لأنها تلمـسُ قلوبَنـا بأعمقِ مـا فيها من أشـواقٍ ورغبات.

أحبّائي،
إنّ انقطاعَنـا عـن المناولـة وعن السـجود للقربان المقدّس يسـمحُ للموت الروحيّ أن يتسـلّلَ سريعًـا إلى حياتِنـا وعلاقاتِنـا وجماعاتِنـا. تصبحُ مشـاريعُنا مجرّد نشـاطاتٍ عالميّـة لا تُعطي الثـمار الروحيّـة المرجـوّة ونغرق بالتـالي في لامبـالاة قاتلة تجرُّ معهـا الحزنَ واليـأسَ ولا نعودُ نفقـهُ هويتَنـا المسـيحيّة ولا دورَنـا ورسـالتَنا بأن نُكمِـلَ ما بدأه يسـوع حين قال لنـا «إصنعوا هـذا لذكـري». لذلـك، أدعوكـم أحبّـائي، أن تقبلوا بتواتـرٍ على المشـاركةِ الفعّالـة بالقدّاس وعـلى السـجود للقربـان في عبـادةٍ تُفرغُكـم مـن ذواتِكـم لتملأكم من حـبِّ مَن قدَّمَ نفسَـه من أجلنـا جميعًا دون اسـتثناء.

٣. مدعوون لتصبح حياتُنا قربانيّة
يقـول لنـا يسـوع في إنجيـل يوحنا: «مَنْ يَأْكُلُ جَسَـدِي ويَـشْرَبُ دَمِـي يَثْبُتُ فِيَّ وأَنَـا فِيه. كَمَا أَرْسَـلَنِي الآبُ الـحَيّ، وأَنَـا بِـالآبِ أَحْيَا، كَذلِكَ مَـنْ يَأْكُلُنِي يَحْيَـا هُوَ أَيْضًـا بِي» (يو ٦/ ٥٦-٥٧). مـاذا يعنـي «يحيـا هـو أيضًا بي»؟ كيـف نحيا به؟

أحبّائي،
الحيـاة بالمسـيح القربـاني هـي إلتـزامٌ بتبديـل المسـار. لسـنا نحـن مَـن نحيـا بـل هـو الحيُّ فينـا (غـل ٢/ ٢٠). لا نعـود نحيـا إلاّ بـه، بالإتحـاد الـكلّي معـه، تفكـيرًا وقـولاً وتصرفـات. بمعنـى آخـر، نصبـحُ «إفخارسـتيين» أي نتحـوّل إلى خبـزٍ مكسـورٍ مـن أجـل العـالم، خبـزٍ مكسـورٍ بالطيبـة والتواضـع والخدمـة كما يقـول البابـا فرنسـيس: «في نهايـة كلّ شيء، من كلِّ احتفالاتنـا الليتورجيـة بالإفخارسـتيّا، الحـبُّ وحـده يبقـى. ومنـذ الآن، سـيبدِّل سرُّ الإفخارسـتيا العـالمَ بالقـدر الـذي نسـمحُ فيـه نحـن لأنفسـنا بـأن نتبـدّل، ونصبـح خبـزًا مكسـورًا للآخريـن» (عظـة، ٦ حزيـران ٢٠٢١).

ينطلـق هـذا التبـدّل المنشـود مـن فعـلِ توبـةٍ صادقـةٍ وممارسـةٍ مسـتمرّة لـسرِّ المصالحـة كي

نكـون مسـتحقّين بـأن نصيرَ ما نتنـاول وإلاّ نكـون «مُذْنبين إلى جَسَـدِ الـرَّبِّ ودَمـه» (١ قور ١١/ ٢٧). كـما أنّ هـذا التحـوّل إلى الحالـة القربانيّة يفـترضُ أن نتعلّمَ كيف ننظـرُ إلى إخوتنا وأخواتنـا في الإنسـانيّة «مـن خـلال عدسـةِ القربانة المكـبِّرة» (البابا فرنسـيس، عظة، ٢٥ آب ٢٠٢٣)، خاصـةً أولئـك الأكثر فقرًا واحتقارًا في جسـد المسـيح. يجب أن تحركَنا الإفخارسـتيا كي نجـدَ ونخـترعَ، مـن خـلال أعمالِنـا الرعويّة، مسـاراتِ إدماجٍ وفـداءٍ لكلِّ المهمّشـين.

٤. الإفخارستيا تجعلُنا رسلاً في العالم المتألّم

«إذهبـوا بسـلام» ! بهـذه الكلـمات ينتهي القـدّاس فنحن وبعد أن تناولنا جسـدَ الـربّ ودمَه أصبحنـا مُرسـلين إلى العالم. هـذا العالم ينتظرُنا نحن المؤمنين بيسـوعَ الرحوم فكما «أرسـله الآبُ الحـيّ» وقـدّم نفسَـه قربانًـا ليخلّصَنا، هكذا هو يُرسـلُنا نحـن اليوم من أجـلِ أن نقدّمَ ذواتنـا قربانًـا في الخدمـةِ والإصغـاءِ والتضامـن. نُصبح كالعـذراء مريم، المرأةِ الإفخارسـتيّة، التـي، بعـد أن قبلـت المسـيحَ إبنَها في أحشـائها، إنطلقـت حاملةً بـشرى الفرح إلى نسـيبتِها إليصابـات. وكـم مـن إليصابـات اليوم في مجتمعاتِنـا بانتظارِ الفـرح الذي اختبرنـاه في المناولة!

هـي ليتورجيّـةُ الإرسـال بحيـث تَصحَبُنـا «بركـةُ الثالـوثِ الأقـدس، الآبِ والإبـنِ والـروحِ القـدس» وتُرسـلُنا في انطلاقـةٍ جديـدةٍ نحـو الآخريـن كي نعيـشَ الإنجيـلَ هنـا والآن. لا نأتي إلى الذبيحـة كواجـبٍ أسـبوعيٍّ ثـمّ ننتقـل إلى مـشروعٍ آخـر، إنما نـأتي كي نشـاركَ آلامَ الربّ وقيامتَـه، ومـن ثـمّ نعيـشُ مفاعيـلَ القـدّاس في إلتزاماتنـا الإجتماعيّـةِ والوظيفيّـة. ينتهـي القـدّاسُ ويبـدأ وقـتُ الشـهادة. نترُكُ الكنيسـةَ «لنذهبَ بسـلامٍ» حاملـين بركـةَ الثالوثِ في أنشـطتِنا اليوميـة، في بيوتِنـا، في أماكن عملِنـا، في علاقاتِنـا ممجّدين الله من خـلال حياتِنا اليوميّـة. ولكـن إذا تركنـا القـداس ونحـن نثرثـرُ عـلى بعـضِ الحاضريـن ونتأفّفُ مـن عظةِ الكاهـن فهـذا يعنـي أن القـداسَ لم ينفـذْ إلى قلوبنـا. في كلّ مـرّةٍ أخـرجُ مـن الكنيسـة بعد الإحتفـالِ الإفخارسـتيّ، يجـبُ أن أشـعرَ أني أفضـل مـما دخلـت، أشـعرَ بمزيـدٍ مـن الحياةِ ومـن القـوّةِ وبرغبـةٍ أكـبر في العيشِ كشـاهدٍ للمسـيح.

أحبّائي،

إن جسـدَ المسـيح الـذي تتناولونـه في كلّ قـدّاس يجعلُكـم تكرّمـون وتحترمـون أجسـادَ إخوتكـم، الذيـن مـن خلالهـم يتوقـعُ يسـوع أن تعترفـوا بـه وتخدمـوه وتكرّمـوه وتحبّـوه (مـت ٢٥/ ٤٠). بسُـكناه في داخلنـا يعمـلُ فينا بصمـت ويُحيينا وهـذه «الحياة الإفخارسـتيّة» التـي نعيشـها هـي كفيلـة بـأن تؤنجلَ العـالم كما قال قداسـة البابـا فرنسـيس في عظته عن شـارل دوفوكو (١٨ تشريـن الأول ٢٠٢٣).

٥. كرامة الإحتفال الإفخارستي وعطايا العبادة القربانيّة

لأنّ «ذبيحة الإفخارستيا هي ينبوع وقمّة كلِّ حياةٍ مسيحية» كما يُعلن المجمع الفاتيكانيّ الثاني (نور الأمم ١١)، وضعت الكنيسةُ بعضَ القواعد من أجلِ تأكيدِ طبيعةِ هذا السرّ ومكانته في حياتها كما من أجلِ الحفاظِ على الكرامة التي يجب أن تميّزَ الإحتفالَ به. هذه النُظم الليتورجيّة تهدفُ أيضًا وخاصةً إلى مساعدة المؤمنين على المشاركة بوعيٍ وفعاليّة وبتقوى حقيقيّة مظهرةً رونقَ وجمالَ طقسِنا السريانيّ الماروني.

أحبّائي،

في الرسالة البابويّة «شهوةً إشتهيت» التي كتبها البابا فرنسيس في ٢٩ حزيران ٢٠٢٢، يتكلّمُ عن «فن الإحتفال» ويعتبر أن هذا الفنَ يجب أن يتمَّ بتناغمٍ مع عملِ الروحِ القدس كي نتجنّب الوقوعَ في خطرَين يُهدّدان جماعاتِنا الرعويّة: خطرُ التشدّدِ بالشكليّات مقابلَ خطرِ فهمٍ خاطئٍ للإبتكارِ والتكيّفِ والتحديث.

لذلك أدعوكم، إخوتي الكهنة، للإنتباه بأن لا تشوّهوا لقاءَكم الإفخارستي يوم الأحد بإجتهاداتٍ شخصيّةٍ وإستنباطاتٍ فرديّة تقودُ حتمًا إلى الفوضى. لا تنسوا أن الإحتفالَ هو أوّلًا وآخرًا للمسيح ولجسدِه السرّيّ أي جماعةِ المؤمنين المعمّدين بموتِه وقيامتِه. حافظوا على «البساطةِ» و«الوقارِ» في آنٍ معًا وتجنّبوا من أن تقعوا في النزعةِ «الفولكلورية» إن من حيثُ الموسيقى أو صياغةِ الصلوات أو من حيثُ اللباسِ والزينةِ أو الحركات ولا تتمثّلوا بمذاهبَ وطقوسٍ غريبةٍ عن تقاليدِنا وروحانيّتِنا بحجّةِ الإنفتاحِ والتحرّر.

أمّا للمؤمنين، أبناء الأبرشيّة وبناتها الأحبّاء، فأرغبُ أن أتقاسمَ معكم بعضَ الأفكار حول عبادةِ القربان المقدّس وأشجعَكم على الإلتزام بها لما لها من فائدةٍ روحيّةٍ على المستوى الشخصيّ والمستوى الجماعي.

ما الهدفُ من عبادة القربان المقدّس؟

نعيشُ في عصرِ النسبيّةِ والتكنولوجيا الرقميّة التي تدفعُنا على التركيزِ على النتائجِ السريعة والربحِ الأكيد والقدرةِ التنافسيّة. عبادةُ القربان المقدّس هي عكسُ هذا المسار بحيث نكتشفُ خلالها محدوديتَنا ونختبرُ فقرَنا الروحيّ وعدمَ قدرتِنا على الصلاة فنسلّمُ ذواتَنا لذاك الذي استحالَ خبزًا فقيرًا لينشلَنا من فقرِنا ويُغنينا من نِعَمه.
في العبادة القربانيّة، نلتهمُ يسوع بأعيُننا كما يفعلُ العشّاقُ عندما يلتقون فينظرون إلى بعضِهم البعض بصمتٍ عميقٍ وحبٍّ شديد. ليس المهم ماذا نقولُ أو ماذا نفعلُ أمام القربان، إنّما المهم أن ندخلَ في حميميّةٍ معه، أن نقبلَ أن نتعرّضَ لِنورِه المطهّر كما نتعرّضُ

لأشعةِ الشمس بحيثُ يطهّرُنا من كلِّ المشاهدِ والصوَرِ التي تلّوثُ أفكارَنا وعقولَنا وإرادتَنا.

أمام القربانِ المقدّس، لا نتكلّمُ بل نُصغي لما سيقولُه هو لنا. نُعطيه الوقتَ الكافي كي يكلّمَنا ويغيّرَنا حتى ولو شعرَنا بالضجر وبطولِ الوقت هو لا يضجرُ من لقائنا بل يبقى سعيدًا لأن يكون معنا.

لا يقومُ منطقُ عبادةِ القربان المقدّس على «كميّة» أفعالنا بل على «تحوّل» كينونتا بحيث نتمكّن من رؤيته والتأمّل به في كلِّ مناسبات حياتِنا والأمكنةِ حيث نعيش إن في الكنيسة أو، وخاصةً، خارجَ الكنيسة. أليسَ هذا هو معنى قولِ يسوع للمرأةِ السامريّة: «وَلَكِنْ تَأْتِي سَاعَةٌ، وهِيَ الآن، فِيهَا السَّاجِدُونَ الْحَقِيقِيُّونَ يَسْجُدُونَ لِلآبِ بِالرُّوحِ والْحَقّ. فَعَلى مِثَالِ هؤُلاءِ يُرِيدُ الآبُ السَّاجِدِينَ لَهُ. أَللهُ رُوح، وعَلى السَّاجِدِينَ لَهُ أَنْ يَسْجُدُوا بِالرُّوحِ والْحَقّ». (يو ٤/ ٢٣-٢٤)؟

أحبّائي أبناء وبنات الأبرشيّة،

في القربانِ المقدّس، أنتم تلتقون مَن أعطاكُمُ الحياة، تلتقون مَن خلّصَكم ويخلّصُكم، مَن يهبُكم الشجاعةَ والصبرَ من أجل أن تحوّلوا كلَّ أزمةٍ إلى فرصة لمزيد من الإلتزام الروحيّ والإنسانيّ. أنتم تلتقون مَن يعطيكُم الحكمةَ كي تقاربوا أحداثَ هذا العالم بنظرةٍ مسيحيّةٍ تفتحُ قلوبَكم إلى الحياةِ الآتية. فلا تتأخّروا عن مواعدته والتماهي معه. في الإفخارستيا تطمئنُّ قلوبُكم.

أردتُ ان أتقاسمَ معكم هذه الأفكارَ، الأرغفةَ الخمسة، طالبًا من يسوعَ القربانيّ أن يُطمئن قلوبَكم في وسطِ الأزماتِ والأمواجِ التي تلطمُ سفينةَ بلادِنا ومنطقتِنا ومُردِّدًا مع الطوباويّ كارلو أكوتيس، هذا الشاب الذي أمضى سِنّيَ عمرِه القليلة في عبادةِ يسوع في الإفخارستيا ونشرِ محبّةِ القربان، أنّ هذا «القربانُ المقدّسُ هو طريقُنا الرئيسيُّ السريعُ إلى السماء وإذا أردنا أن نصبحَ قدّيسين فعلينا أن نقفَ أولًا أمام المسيحِ في الإفخارستيا».

+ المطران أنطوان بو نجم
راعي أبرشيّة أنطلياس المارونيّة